مُناقشات

« إلى الصديق كرزون »

بقلم عبد الله يونس

« نحن اليوم في سبيل بناء مجتمع عربي على قواعد متينة راسخة ، فمن الواجب أن نعرف كل ضعيف يمكن أن يهدد هذا البناء في يومه وفي غده ».

على هذا الأساس – أيها الصديق – كتبت أنت ، وعلى نفس هذا الأساس كتبت أنا أيضاً ، ومن جديد أعود لأؤكد هذا الأساس الآن ، وأضغط عليه خلف كل كلمة يمكن أن تقال في حديثنا هذا !

١ – أنت تقول أيها الأخ ان القضية ليست – في رأيك – خلو ذلك الإنسان العربي الذاهب الى أوروبا من أي جذور انسانية سابقة ، وإنما هي قضية الشاب العربي الذي ينشأ على تربية أساسها الكبت والحرمان وانعدام الثقافة فيما يتعلق بالناحية الجنسية ، وحقيقة العلاقة الكائنة بين الرجل والمرأة .

هذا الشاب .. وبهذا الرصيد السلبي ، يقذف به لمواجهة حياة غريبة عنه ، حاملا معه كل إرثه الذي أعطاه إياه وضعه كانسان ضمن ظروف وشروط تنبع من أوضاع معينة مختلفة ، ومن هذا الإرث الذي يحمله تتغذى جذوره لتنمو وتتعمق (ولتسهم بدرجة كبيرة في إعطائه موقفه الحي ، وتجاوباته المختلفة تجاه معالم تلك البيئة الجديدة) وهذا ما قلته بالحرف الواحد ! ولكن ما هو هذا الإرث الذي يحمله هذا الإنسان .. إنه كل تلك الأشياء التي ترغب في تسميتها (بالرصيد السلبي) ، وعلى هذا الأساس فان جذور هذا الشاب العربي إنما تنبع وتتغذى من هذا الإرث الذي نشأ عليه ، والذي لا يستطيع أن يواجه تلك الحياة الغربية الا على أساس منه !

وهكذا تظل المشكلة تعني كما ترى ، جذوراً (١) إنسانية سابقة ، لا يستطيع أن يتحرر منها هذا الانسان بشكل مبتور ما دام ارثه الحضاري (صفته الاجتماعية بوجه خاص) لا يزال يمد هذه الجذور بمتطلبات وجودها وتكونها !

٢ – ثم تعود لتسألني ان كنت أعترف بأن الكبت هو أحد أسس تربيتنا القائمة وأحد معايبها ؟! أرجو ان تنظر قليلا فيما كتبت ترى أنني آمنت بأن (للإنسان العربي مشاكله الجنسية الخاصة) (وأن على الأدباء أن يطرحوا مثل هذه القضية في أعمق صورها وأكثر أبعادها قدرة على إبراز الوجه الإنساني الحقيقي لمختلف عناصر المشكلة) ، ولترى كذلك كيف كنت أبحث بشدة عن (تلك المشكلة التي يمكن أن يصدر عنها شاب كبطل السنفونية الناقصة)

ولكنني قلت مع ذلك : (انها مشكلة قذرة ذلك الكبت الذي يسهل علينا أمر قذف انسانيتنا الى الطين !) . وقد يبدو في هذا أيها الصديق بعض التناقض ، وهذا ما أرجو ان أزيله هنا !

إن الغرائز جميعها – كما تقول – (لا تقاوم ويجب أن تروى ، ولولم يكن ذلك على أساس خلقي اجتماعي) وهذا يعني أن ذلك الأساس الخلقي هو آخر ما يقذف به في النهاية أثناء عملية الإرواء تلك ! فالشاب العربي الذي يعيش ضمن مجتمعه وبيئته التي تضغط عليه وتحول دون ارواء غرائزه ارواء صحيحاً ..

هذا الشاب سوف يبذل كل ما في وسعه للعمل على ارواء الغرائز بمختلف الطرق الشريفة وغير الشريفة ، وهو اذ يضحي بالأساس الخلقي في بعض أعماله فانما يضحي به مجبراً ، ولأنه لم تتح له فرصة العيش في جو سليم .. هذا الأنسان لا يمكن ان نلومه في شيء .. فبطل قصة (البؤساء) يستدر عطفنا جميعاً في اللحظة التي تمتد يده فيها لتشرق قطعة الخبز .. على الرغم من أن السرقة عمل لا أخلاقي .. فمثل هذا الإنسان بحاجة الى المساعدة أكثر من حاجته الى اللوم !

ولكن الأمر يختلف بالنسبة لهذا الشاب عندما يواجه نمطاً جديداً من الحياة ، وبيئة جد مختلفة عن تلك التي كانت تحتويه من قبل ؛ كالبيئة الأوروبية مثلا .

إنه هنا إنسان يملك أن يحقق (ارواء غريزته الجنسية) دون أن يقف وجهاً لوجه أمام أي أساس أخلاقي ، يجد نفسه في النهاية مجبراً على أن يحطمه كي يتقدم !

إن الشاب العربي – في باريس مثلا – يملك أن يقيم مع المرأة كل أنواع العلاقات الجنسية وغير الجنسية ، ويملك بذلك كثيراً من الوسائل التي تحقق له ارواء كبته دون أن تضعه أمام أي اساس أخلاقي يقف دونها ، فلماذا بالله يجدر به بعد ذلك أن يعمد بعناد الى أن يقيم أمامه هذا الأساس ليقبل بعد ذلك على هدمه بحجة ارواء هذا الكبت ؟!

إن بطل (السنفونية الناقصة) إن كان يعاني الكبت حقاً ، فهناك أكثر من امرأة في باريس تستطيع – وبرغبتها – أن تخفف عنه هذا الكبت ، ولكنه مع ذلك يصر على أن يخدع (ماريا كونش) ويجعلها تشرب حتى تثمل ، ثم يقوم باغتصابها .. فإذا ما انتهى نفخ أوداجه بدلال .. فهو لا يفعل إلا أن يخفف من حدة ذلك الكبت الذي عاناه منذ أجيال !

لا أدري – أيها الصديق – إن كنا سنسمع عما قريب عن شباب شرقيين يخطفون النساء من شوارع باريس ، ويجدون بعد ذلك من يدافع عنهم لأنهم لا يفعلون شيئاً أكثر من اروائهم لغرائزهم !

إنني أتساءل : هل كان من الممكن لبطل (البؤساء) أن يستدر عطفنا لو أننا علمنا بأنه أقدم على سرقة قطعة الخبز بينما هو يملك من المال ما يستطيع أن يشتري به مخزناً من الخبز ؟!

ولكن قد يوجد من يقول إن هذا الذي حدث لبطل (السنفونية الناقصة) لم يكن سوى رد فعل .. كذلك الخفاش الذي يبهره النور لدى مغادرته الأوكار المظلمة ! كما يمكن ان يوجد من يقول بأن هذا النموذج من الشباب العرب ليس سوى واقع يعرفه الجميع . وهنا لابد لي من الرجوع الى (السنفونية الناقصة) لأنقل الفقرة التالية ذات الدلالة الهامة : (والنساء كماء البحر يزداد الشارب منه عطشاً مع فارق واحد هو أن ماءهن عذب قراح ، ثم تنقضي ثلاثة أربعة أو خمسة شهور فيكون الفتى الشرقي قد أشبع نهمه الأول وأصبح بامكانه أن يتمالك نفسه فلا يذوب رغبة أمام أية انثى تبتسم له أو تنظر اليه ببعض الاهتمام ، وهنا يدخل في طور الاختبار والتذوق) .. (وتعرفت على ماشكا وأنا في هذا الطور من مقامي في باريس ، ولو عرفتها أول وصولي لما نمت صداقتنا وأثمرت اذ لكنت وجدتها بطيئة على المستعجل مثلي يقطف من شجرة اللذائذ أدنى قطوفها) . إن ذلك دليل قاطع على أن بطل

---

(١) يخيل الى ان السيد كرزون قد فهم كلمة (انسانية) بمعناها المثالي الذي يعني السمو قبل كل شيء ، بينما يجب – كما هو ظاهر – أن تفهم كنسبة الى (انسان) ، وبالتالي فهي تحمل كل ما يمكن أن يعنيه هذا الانسان من أشياء سامية وغير سامية .

(السنفونية الناقصة) ان كانت له من مشكلة جنسية فهي ليست المشكلة الجنسية للشاب العربي بوجه خاص. إنه منذ البداية يطلعنا على أننا أمام تجربة لإنسان بلا كبت ، إنسان قد أشبع نهمه الجنسي ولم يعد يبهره النور ، وأصبحت علاقاته الجنسية تقوم على أساس الاختبار والتذوق .. أي أنه قد بلغ المستوى العادي الصحيح .. وأصبح انساناً بلا مشكلة مزمنة تضغط عليه ! وهذا ما يقذف ببطل (السنفونية الناقصة) بعيداً جداً عن أن يمس أية مشكلة جنسية يدى الشاب العربي !

٣ – وتقول بعد ذلك (وصباح محي الدين كفنان وأديب لا تتعدى مهمته أن يرسم واقعاً أنت تنكره عليه . هذا الواقع عاناه بطله كتجربة ذاتية ، ويعانيه الشرقي في باريس ..) .

يخيل إلي – ايها الصديق – أننا نعيش اليوم في ازمة (واقعية) ! أزمة يستطيع فيها كل فرد أن يفعل أو أن يقول ما يشاء ، وأن يقترف باسم هذ الواقع أكثر بكثير مما اقترف باسم الحرية حتى الآن ! لا أدري ان كان من الواقعية في شيء أولا ، أن نقوم بتزييف الحقائق ، وتشويه حتى الواقع نفسا ز نستطيع أن نبرر بعد ذلك كل هذه الأعمال بأننا واقعيون .. وبأننا إنما نقرر واقعاً يعرفه الجميع ! تصور أيها الأخ عندما كانت بور سعيد تقذف للنيران براً وبحراً وجواً ومن كل مكان ، وعندما كان الشعب العربي بأجمعه ينتفض كمرق حي يذبح ، ويتحفز ابداً لأن يثب .. في هذه الحالة وجد من يقول لي – هنا في طرطوس – لئن قام الأنجليز والفرنسيون بضرب طرطوس فيجب أن نخلي المدينة حالا الى الجبال المجاورة ، فقلت له : أو نمنحهم مراكز بهذه السهولة يثبتون فيها أقدامهم ؟ فقال : ولكننا لن نقدر عليهم .. سنهزم لا محالة ! قلت : أيمكن أن يبرر هذا التنازل عن المدينة بهذه السهولة .. ماذا يفعلون إذن في بور سعيد ؟!

فقال ، وكنت ألمح في عينيه أن كل شيء قد تبرر لديه : ولكن هذه مثالية لن تجدينا شيئاً .. يجب أن نكون واقعيين !

انظر أيها الأخ .. كيف أن (واقعية مزيفة) باستطاعتها أن تكون في بعض الأحيان تهافتاً وانهزامية .. و .. !

إن هذا ليضع على كاهلنا أيها الأخ ، نحن الذين نتحرق لبناء ذلك المجتمع العربي القوي .. والأصيل في وقت معاً ، مسؤولية كبيرة .. ! مسؤولية النفوذ الى كل تلك الأكوام المكدسة من الأفعال والمواقف والنماذج والتصرفات .. لنقذف في النهاية بكل واقع شائه لا يكشف حقيقة وانما يزور كل سمة للحقيقة !

ولقد قرأت قصة الأستاذ محي الدين حتى الآن القراءة الخامسة ، وفي كل مرة كنت أبحث بلهفة عن ذلك الشباب العربي الذين يعيش زحمة تجربة قاسية من الكبت والحرمان (وعن تلك الملامح المميزة التي يمكن أن تتجلى حتى في نبضة العرق في جبهته ، والتي لا يمكن أن يشاركه فيها (إنسان) آخر) !

ولكنني في كل مرة ، كنت أجد نفسي أمام انسان بلا مشكلة .. وبتجربة تشحب حتى الذبول ! ومع ذلك ، فهي تلصق ببضع كلمات بهذا الانسان العربي ، وتزور على أنها مشكلته الأصلية !

إقرأ رواية كالحي اللاتيني للدكتور سهيل ادريس ، أو قصة كالشرق شرق للأستاذ فؤاد الشايب ، تجد نفسك وجهاً لوجه أمام هذا الإنسان صاحب المشكلة ، هذا الإنسان الذي تتجلى أصالته حتى في تعثر مشيته على أرصفة باريس ! هذا الإنسان .. هو الذي طلبته عند صباح محي الدين ، وهذا الإنسان هو الذي افتقدته أيضاً لديه !

٤ – بقيت قضية أخيرة ، قد تكون أثرتها أنت وقد يكون أثارها غيرك ، لم يكن فيجب أن نقف عندها ! هذه القضية هي : هل على القصاص أن يجد حلا للمشكلة أم أن حسبه فقط أن يثير هذه المشكلة ويترك إيجاد الحل للمصلحين والنقاد !

والسؤال الآن هو : هل على من يكتب أن يتحمل مسؤولية ما يكتبه فقط ، أم أن عليه ان يتحمل أيضاً مسؤولية كل ما يمكن أن يفهم عنه على صوابه أو خطئه ؟!

لقد كتبت بالحرف الواحد : (حقاً ، إن للانسان العربي في الغرب مشاكله الجنسية الخاصة والجديرة بالدرس والتناول ، وأن للادباء مطلق الحرية في تناولها وعدم تناولها ..) الى أن قلت (إن على الأدباء أن يطرحوا مثل هذه القضية في أعمق صورها ، واكثر أبعادها قدرة على إبراز الوجه لإنساني الحقيقي لمختلف عناصر المشكلة)

والآن ، هل يمكن لهذا الكلام أن يعني أنني أطالب القصاص بوضع حل للمشكلة ؟!

لقد طرح ديكنز في (دافيد كوبرفيلد) قضية الأحداث في بريطانيا بأعمق صورها ، وكالدويل أيضاً طرح في (طريق التبغ) قضية المزارعين المعدمين في بعض ولايات أميركا ، فهل قال أحد ما بأنهما قد حلا المشكلتين ؟! لا أدري ! ولكن ما أعتقد به عن ثقة هو أن طرح المشكلة بأعمق صورها ، وإيجاد الحل لهذه المشكلة ، عمليتان مختلفتان كثيراً على شدة الصلة والارتباط بينهما !

وهكذا أيها الأخ ، ترى أنني لا أهرب من الحقيقة مهما كانت صارخة ، ولا اشمئز من الواقع مهما كان قذر المستوى ، ولكنني أشمئز من الزيف ، وأطالب بالحاح بالأصالة وبالإنسان الحار النابض..لا الزائف .. ولا المشوه .

وتحية عربية حارة .

طرطوس

عبد الله يونس

قصيدتان في المعركة

عبد العزيز ع . محمود

أحب أولا وقبل أن أخوض في موضوع هاتين القصيدتين للشاعرين نزار قباني وعبد الرحمن الشرقاوي، أحب أن أخالف ذلك الناقد الذي يقرر أن نزار قباني دخل مخدع المرأة ولم يخرج منه أبداً، لأن نزار يفاجئنا في فترات تتباعد حينا وتتقارب حيناً آخر بقصائد تهز وتفعل وتثير .. قصائد لها دورها في المعركة .. قصائد لها جماليتها ولها فاعليتها أيضاً .

ان الجمال في الفن لا يعني مطلقاً الخروج على الواقعية لأن الواقعية ليست تقريراً للواقع كما هو الواقع .. وليست تعبيراً مباشراً .. وليست نقلا سطحياً. إن الواقع مادة تحتاج الى تلوين.. الى فنان ينظر الى هذا الواقع من زاويته المؤثره لينقله الينا بتعبيره الموحي . هذا الفنان هو وحده الذي ينظر الى المضمون الجيد .. وهو وحده الذي يستطيع ابراز هذا المضمون داخل اطار جيد . ونحن بهذا لا ندعي أن الواقعية عملية شكل ، ولكننا أيضاً لا نسلم بتضمين الواقع وابرازه في صور باهته ومباشرة وطافية. إننا حين نتكلم عن قصيدة « رسائل جندي مصري في جبهة السويس » للاستاذ نزار قباني وقصيدة « يا بور سعيد » للاستاذ عبد الرحمن الشرقاوي ، انما نتكلم في الواقع عن اتجاهين مختلفين وتيارين متباينين ، وكلا الاستاذين رائد من رواد الشعر الحديث .

موضوع القصيدتين واحد هو المعركة الدائرة الآن بيننا نحن العرب الذين نزيح من على كواهلنا قروناً من الذل والفاقة والتدهور والقنوط .. وبين الاستعمار الغربي الذي يريدنا أبداً في قبضته .. راسفين في القيود .. وعبيداً يغزلون دائماً خيوط الليل .. ويلعقون المرارة والهزيمة . هذا الاستعمار الذي لا يريد أن يعترف بالقومية التي نمت ، ولا بالعملاق الذي انتفض .. ولا بطوفان التحرر الذي يفيض ويعم .

إن الاستعمار يعصب عينيه عن حقيقة دونها الشمس ، ويأتي الينا بأساطيله وجيوشه ومؤامراته ليحطم جبهتنا ، ويفتت وحدتنا . لكن القوى المكافحة في الأمة العربية عامة ، والأبطال الذين وقفوا في سيناء وغزه ورفح وشرم الشيخ .. والذين حملوا البنادق والمطارق والارواح في بور سعيد خاصة . هؤلاء الأبطال قد أظهروا للعالم حقيقة الموقف .. حقيقة الايمان والتضحية .. حقيقة البطولة التي كانت حلماً .. حقيقة الجبهة المتماسكة المتآزرة .

وكان لابد للمعركة من شعراء يخلدون المدينة التي أصبحت عنوان المقاومة .. يخلدون « بور سعيد » كما خلد « هوميروس » « طروادة » في ملحمة .. وكما خلد بابلو نيرودا « ستالينجراد » في أغنية . ومن هنا يجب علينا أن نحسب ألف حساب للفن ، للفن الذي يدوم ويخلد ويبقى ، لأن الرتوش التي تزول بمرور الزمن ، والتعبير الذي يضمحل بعد فترة وجيزة — ليست تلك « الرتوش » ولا هذا التعبير من الفن في شيء .

ولاشك أن بورسعيد سوف تذكي قرائح الشعراء العرب ، وان كان الموقف لم ينجل الى الآن عن قصيدة تضمن الخلود ، ولئن آثرنا قصيدتي الشاعرين نزار والشرقاوي بالحديث ، فلأن هاتين القصيدتين من أبرز القصائد التي ظهرت في الموضوع حتى الآن .

وقصيدة نزار تعد تأريخاً فنياً للمعركة .. وهو لذلك قسمها الى رسائل إتعبر كل رسالة عن مرحلة من مراحل الكفاح . ومع ذلك فالقصيدة تمتاز بالوحدة الفنية والصياغة المعبرة المشحونة بالعواطف والمواقف للشعب العظيم .

وهو يقف في الجبهة يخط « الحروف الثائرة » الى والده الذي يراقب المعركة .. ليسجل موقف « السويس الصابرة » . ويفتح الباب .. باب التاريخ العربي كله .. يفتح الباب على المأساة الدامية .. على الليل الذي استمر قروناً تحت رحمة القراصنة .. يفتح الباب على مصراعيه حين يتساءل في مرارة : هل عاد قطاع الطريق ! ؟ والجندي يرتعد من مآسي الماضي ، لذلك فهو ينظر الى المستقبل في اصرار من الخندق الذي يربض فيه مع الفداء والبندقية . ويرسم الشاعر من خلال هذا الموقف صورة لأسياد الغد المزعوم :

إني أراهم يا أبي — من خندقي — زرق العيون ..
سود الضمائر يا أبي — زرق العيون
قرصانهم عين من البلور .. جامدة الجفون
والجند في سطح السفينة يشتمون .. ويسكرون
فرغت براميل النبيذ .. ولا يزال الساقطون
يتحفزون .

ومن خلال هذه اللقطة الفنية نعرف مصير وطننا على أيدي هؤلاء المعربدين الساقطين شاربي النبيذ .. المتحفزين . كذلك لا نعجب حين ينتقل الشاعر الى بور سعيد .. المدينة الخالدة ، والجندي في رسالته يعرف واجبه تماماً :

أنا ذاهب لمهمتي
لأرد قطاع الطريق وسالبي حريتي

وقد استطاع نزار قباني أن يسجل موقف الشعب في روعة وصدق وفي لوحة تعبيرية عميقة :

أبناء نوشاهدتهم يتساقطون
وترى قراصنة البحار .. الانكليز
كثمار مشمشة عجوز
يتساقطون
يتأرجحون
تحت المظلات الطعينة .. مثل مشنوق تدلى في سكون
وبنادق الشعب العظيم تصيدهم — زرق العيون
لم يبق فلاح على تخراته الا وجاء
لم يبق طفل يا أبي الا وجاء
لم يبق سكين .. ولا فأس .. ولا حجر على كتف الطريق
الا وجاء
ليرد قطاع الطريق
ليخط حرفاً واحداً .. حرفاً بمعركة البقاء .

وينتصر الشعب العظيم ، وتصبح بور سعيد أسطورة الكفاح .. ورمز المقاومة .. ومصنع الأبطال

هذي الرسالة يا أبي من « بور سعيد » :
من حيث تمتزج البطولة .. بالجراح .. وبالحديد .
من مصنع الابطال اكتب يا أبي .. من بور سعيد »

إن نزار قد استطاع كما قلت أن يؤرخ للمعركة في لوحات امتزجت فيها روعة البطولة بروعة الكلمة بروعة الصورة . والسر أن نزار قد حافظ على توازن القصيدة فلم يستطرد استطراداً يجر الى التقرير ، والتكرار الخالي من المواقف والصور كما حدث في مواضيع كثيرة من قصيدة عبد الرحمن الشرقاوي .. بل اختار التعبير الموحي .. المصور ، وشحن فيه عواطفه وعواطف الشعب ، وموقفه وموقف الأمة .

وحين انتقل الى قصيدة « عبد الرحمن الشرقاوي » « يا بور سعيد » أجدني ازاء عمل ضخم ضاع في زحمة التعبير التقريري .

فالشاعر يفزع من الليل الهابط من جديد مع القوى الزاحفة المستعمرة :

الليل يهبط من جديد ..
بالرعب والظلمات والفوضى وسلطان الذئاب ، وبالخراب ..
وتسيل من هذا الظلام ..
جميع أشباح الظلام ..
بكل أهوال الظلام ..
مسنونة الأنياب تزحف بالكريهة والسموم .
كزواحف العصر القديم .

وهو يخاف على الحضارة فيستصرخ « بور سعيد » :

لا تتركيهم يزحفون
واحمي الصغار من الظلام ..
واحمي الحضارة والسلام ..

وبدون اي تجديد في التعبير والانفعال والصور يصرخ ثانية :

يا بور سعيد
باسم الحضارة والسلام .. باسم الصغار .. بالكبرياء
لا تتركيهم يزحفون .

ثم يقرر : قد عاد قطاع الطريق .

لكنه هنا يختلف عن موقف نزار حين يستفهم : هل عاد قطاع الطريق ؟

ان نزار في هذا التعبير يثير الدهشة ، ويحث على التأمل ، ويرسم خطة الشعب في المستقبل .

ويتنبأ عبد الرحمن الشرقاوي بنتيجة العودة :

فسيمزقون .. ويحرقون
ويأخذون نساءنا
وتصير كل حرائر الوطن المفدى عاهرات
ويلوثون الذكريات
وسيطفئون الافه المستقبل الزاهي السعيد .

ان الشرقاوي ينفعل في كل القصيدة انفعالا صادقاً لأنه انسان يحب الحرية والحضارة والصغار والسلام .. لكنه لم يستطع أن يجسد انفعاله في صور تتطور وتنمو لتكون بنيه حية . خذ مثلا تعبيره عن صمود «بورسعيد» :

تنصب فوقك كل أهوال الدمار .. وتضربين
تتمزقين .. وتضربين
تتعذبين .. وتضربين
وتسخنين .. وتضربين
وتضربين .. وتضربين

انه هنا يقول « ان بور سعيد » صامدة ولا شيء غير ذلك .. وان تكرار كلمة « تضربين » وإن أفادت التوكيد والاستمرار والمقاومة الا أنها جمدت التعبير تجميداً ، ثم يستطرد بعد ذلك : أفديك حارسة القناة

بل أنت حامية الحضاره

لقد عرف العالم .. كل العالم أن « بور سعيد » خمت العروبة والحضارة والسلام .. ولكنه يريد أن يعرف كيف يتغنى الشاعر بالمدينة الخالدة .. وكيف يعبر بالفن في اصالة وابداع عن المقاومة والصراع .

والشاعر يذكر زوجته وأطفاله من خلال الغزو ويذكرها بحكاية حفر القناة

أيام يجمعنا الغرام على القناة ببور فؤاد
ونشيد ملاح يسوق على القناة شراعنا
والماء يهمس تحتنا .. الحب والليل المغرد والطلاقة والأمل ..
وأنا وأنت على القناة .. وصدى أنين رن خلف الليل من عهدسحيق.
أناة من حفروا القناة ..

وهو لذلك ومن أجل اللقاء والقبلة والذكريات وقبور الأجداد يستنهض زوجته للنضال :

لا تتركيهم يزحفون .
هبطت خفافيش الظلام عليك يلهبها السعار .. عطش تحن الى الدماء ..
جوعى الى لحم الصغار .. لا تتركيهم يزحفون .
يا زوجتي وحبيبتي .. يا كبريائي وانطلاقة قوتي.. لا تتركيهم يزحفون.
سيدنسون غرامنا .. ويلوثون فراشنا .. وسيذبحون صغارنا ..

وتعابير الشرقاوي تتكرر في القصيدة تكراراً يقلل من أهميتها الفنية وان كانت هادفة الى المقاومة في سبيل الحضارة والأمن والسلام ..

ان كلمة حضارة ..وسلام .. وصغار .. وظلام .. ويهبطون ويزحفون..

ان هذه الكلمات تتكرر كثيراً بنفس المعنى وبنفس التعبير مما يفسد جو القصيدة ويجعلها أميل الى النثر منها الى الشعر. ويمضي الشاعر بعد أن يستصرخ زوجته الى المقاومة يحدثها عن رحلته الى موسكو وكيف قطع عليه الطريق قطاع الطرق .. ويحدثها عن الهدايا التي اتى بها من موسكو وبوخارست في تعبير نثري تقريري :

ولقد أتيت اليك من موسكو باشياء كثيرة .. فخمنيها .. انها وهواك أشياء مثيرة .. قد عدت من موسكو اليك بقطعتين من الحرير .. «وبلوزة من بوخارست » ... بل لا لزوم لمثل هذا واسمعي ...

وتعمل المرارة في نفس الشرقاوي لأنه بعيد عن وطنه أثناء المعركة : قد عشت أرجو أن أخوض المعركة .. لا بالقلم ..بل باليمين .. قد عشت أحلم أن أسد بجثتي ذاك الطريق .

ثم ينهي القصيدة مخاطباً الأعداء :

يا حارتي جان دارك يا أبطال فيتي لن تمروا ...
يا شانقي كرومويل ياسد الحضارة لن تمروا ..
يا قاتلي عدنان مهما تحرقوا وتخربوا ..
فلسوف ترتد السهام الى النحور فصوبوا ..لالن تمروا
فالكل يحمي « بور سعيد » .. والكل يفدي بور سعيد ..
الماء والأشجار والاطيار تفدي بور سعيد ...
يحمون في تلك السهول الباسلة .. قيم الحياة الفاضلة...
والفجر يقبل من جديد .. يا بور سعيد .

ان هذه القصيدة عمل ضخم كما قلت ولكنها ضاعت في زحمة التكرار وتقرير الاحداث والنثرية . تحيتي الى الشاعرين الكبيرين .. ومزيداً أيها الشعراء .

القاهرة

عبدالعزيز عبد الفتاح محمود

الوان من القصة اللبنانية

نشرت « دارالعروبة » في بيروت منذاسبوعين الواناً من القصة اللبنانية قدمتها بكلمة قالت فيها :

« إن في لبنان قصة ، لكن الصحافة ودور النشر لا تعبآن بها ولا تهتمان باذاعتها وتأييدها ، ولهذا قيل ليس في لبنان قصة ...

ولكي تدحض هذا الزعم قدمت « الواناً من القصة اللبنانية » لتكون الدليل على وجودها »

إن في هذا التجاهل والادعاء ما يثير العجب لأن الحقيقة والواقع يثبتان ظهور القصة الحديثة في لبنان منذ عهد بعيد ، سواء في الصحف أم في الكتب وقد دلت على مواهب أصيلة ومزايا فنية رفيعة في التعبير والتصوير ، فكيف ينكر القاريء المتتبع قصص نعيمة وكرم وعواد وتقي الدين وسواهم من المشهورين والمغمورين من الزاهدين في الشهرة والذين لم تتسع آفاقهم .

وغير خاف على المستقصي في الحياة الفكرية بلبنان أن فيها فناً قصصياً مرموقاً ، وأن المطابع المجددة المتأنقة تقذف بالكتاب تلو الكتاب في الاقصوصة والرواية لموهوبين من الشيوخ والشباب .

وقد تكون في دعاية الصحافة لآثار هذا الفن مغالطة وتمويه في كل بلد عربي كشأنها في الإعلان عن منشورات في مختلف الفنون الأدبية . فلو أن النقد النزيه والتوجيه السليم يقومان في التبصير والتقدير كما يرتجى منهما لبرز كثير من الموهوبين الذين لم تعرف حقيقة آثارهم وقيمة إبداعهم لا في لبنان فحسب بل في مصر والبلاد العربية كلها .

أما كتاب « ألوان من القصة اللبنانية » فيمثل آثار بعض القصصيين على اختلاف مذاهبهم الفكرية والاجتماعية . وقد أعجبتني منها قصة «القلق» للدكتور سهيل إدريس و « أنطون الفران » للأستاذ يوسف حبشي الأشقر و «الفيضان» للأديبة الفلسطينية سميرة عزام ، على أن هذه الكلمة العابرة لا تتسع لتفصيل القول في الملامح المشرقة من هذه القصص ، واللفتات النابية فيها

وما يقال في هذه الألوان ينطبق على أمثالها من المجموعات القصصية التي ظهرت في صدد الدلالة على صور محلية واقعية ولم تحالف الطوابع المحتومة الا القليل منها ، ولعل التأني في الاختيار وتدارس الموضوع بدقة وتجرد ومراس يحققان الغاية المرجوة .

وداد سكاكيني

مرة أخيرة.. !

بقلم محيي الدين محمد

واجب أن نذكر الأديب جبور بخطأ تركيبه للقضية التي اخترعها هو، فلا وجود على اطلاق الاطلاق لفنان (في حال الاستقرار والاطمئنان لرأي واحد متماسك) فليست قضية الفنان ، هي بحثه الدائب عن القيم النظرية التي ينضوي ضمنها ، بقدر ما يود اكتشاف العالم .. رؤية العالم .. انه ينضوي فكرياً ، ولكن استمراره في الانتاج الفني يدل دلالة اكيدة على انه لم يزل محتاجاً لتفسير آخر يرضيه .. فمازال الكون مغلقاً ، وما زال الليل يسود .. فهو يصور – بالرغم من أنه اشتراكي مخلص – بحارة الفولجا ، في بحثهم المقلق عن طبيعة الأشياء .. ولتثقل عليه قليلا ..! ان الفنان – منذ فجر التاريخ – لم يكن الا قلقاً مستمراً .. عذاباً مستمراً .. تفوقاً مستمراً .. اجهاضاً مستمراً .. ولذلك فهو خالق .. آله .. رب .. ولذلك فهو يرسم ويكتب ويغني ، لأنه خفاش في خضم الليل ، لأنه أفعى تدس طياتها في كل شق .. لأنه يهلك ذاته منسحباً من الأبعاد ، وغير قانع بمحض التفسير المذهبي الذي يدين له .. ومن هنا قلقه ..! انه يقتل صمته وسكونه وراحته .. لأنه يعذب دعته في سبيل حياة أحسن للآخرين ، في سبيل جوعى ومرضى أقل .. لذلك فهو يسهر الليل يغني « أوسولي ميو » ويصف « حقول القمح » ، ويجسم « بور سعيد » في الصخر .. لأنه ليس بحثاً عن (الاستقرار والاطمئنان ان الفنان هو عكس رجل العلم .. لان لرجل العلم مسافة اليقين الرياضي .. أما الفنان فله مسافة الأبد ...

آه .! فعلى العكس من كلام الأديب جبور ، يتضح لنا أن الباحث عن (الاستقرار والاطمئنان) هو الأمي .. هو العامي .. الساذج ، ولذلك لا يفطن المسكين الى استحالة بحثه ، فهو يموت .. ويموت .. ويشبع موتاً بدون أن يحقق حرفاً مما حلم به .. لأنه لا استقرار فكرياً ما دام يحيا ويتعذب ويفكر ..

إن الفنان هو – بعكس اعتقاد الأديب جبور – قلق دائم ، وعذاب دائم.. ولذلك نخلص من تقديمه هذا الهلامي الى نتيجة تهدم بحثه من أساسه .!

فعلى أساس من افتراض واقعتين إحداهما فهم العالم ، والأخرى البحث عن هذا الفهم، يخلص الأديب الى اضافة الزيف للحظة البحث نفسها ..! على أن الخطأ يكمن كما بينا، في هذا الخلط العجيب بين موقف الفنان ، وموقف الفيلسوف ..! فان (هيجل) قد انتهى كما انتهى (ماركس) الى تفسير الكون برمته .. ولذلك فانهما ماتا على أتم رضى ، لأنهما قد اعتقدا بأنهما قد فهما العالم والتاريخ والحضارة .. أما الفنان فلا يمكنه أن يموت راضياً .. ولو كان على نفس اعتقاد الفيلسوف .. لذلك يحترق هو ويحترق كي يمنح العالم كل ذلك الضياء .. أما الكاتب .. فلماذا يكتب ..؟! .

إنه يكتب كي يكشف العالم ، ويهديه منجزاً للآخرين .! ولذلك فهو مسئول ، وهو لذلك أشد ارتباطاً بالعالم من كافة الآخرين .. أشد ارتباطاً لأنه انفتاح نحو العالم ، لأنه حب العالم وكرهه ، لأنه وعي العالم .. لأنه العالم !

وهو لذلك لا يفسح في قلبه مكاناً للغش ، انه يضاجع النسوة .. هذا صحيح ؛ ولقد ضاجعهن (كافكا) و (سارتر) و (هيرمان هيسه) .! إنه ينام ، ويستريح فوق مقعد ، ويلعب النرد .. كما يفعل كل الأدباء .. وكل التافهين .. ولكنه أبداً في المياه السوداء .. يعيش قضيته أبداً .. يعيشها في كل زمان ، في كل ثانية ، في كل لحظة .. يعيش الجزائر ، ويعيش القنال ، والمجر أيضاً .! لأنه وعي ، ولأن وعيه ذاته سلوك .. لأن التزامه داخلي ، نابع من أعماقه ، وهو ليس ارتباطه (اللساني) بالوطنية ، وهو ليس ارتباطه (الدقائقي) بما هو (لاوعيه) غالباً .! وهو لذلك – الفنان المزيف – يكتشف في ذاته حنيناً مرة للقومية العربية ، ومرة للفرعونية .. أو الإفريقية.. وهو لذلك يصدر عن مواقف .. عن وحدات نشاطية .. عن انتفاضات .. بين الواحدة والأخرى هاوية بدون شكل .!

ثم يرتد السيد جبور ويكتشف – للصدفة العجيبة – أن (هاهنا مشكلة جديدة أساسية في ..!) الى آخر الكلام الذي جاء في هذه الفقرة مثبتاً أن المشكلة موجودة فعلا ، وعلى صورتها التي عرضناها وهي في النهاية .. مشكلة (تربوية) !

واذا كشف السيد جبور عن أن (حتى اولئك الذين يزدوجون في فهم نفسه ، الذين يثبتون القضايا الوطنية تارة ويكفرون بها تارة أخرى .. حتى أولئك ليسوا مزيفين ..) وجدنا داخل رؤوسنا أحرف استفهام صلبة للغاية ازاء هذا الفهم العجيب ، لطبيعة الفن .. (ويحسن أن نرد السادة المطالعين الى نوع آخر من الفهم الواعي النضالي في مقال الأديب رضوان بنفس الصحيفة من مناقشات الآداب الماضية).. في هذه الفترة الحرجة من تاريخنا .. هذه الأزمة ، هذا الصراع .. هذا الموت والحقد والطغيان الغربي . في هذا القلق العنيف ، يصبح – في نظر السيد جبور – أي حقير من ملوثي الصفحات أميناً وفناناً حتى اذا هاجم قوميتنا العربية ..! أي حقير صغير .!!

إننا نبتعد عن القضية .!!

من خلال الفني ذاته ، يمكن الكشف عن زيف الفنان .. ومن هنا خطورة المشكلة ، فالخلق الفني في جذوره ينحل الى ثلاثة تراكيب : الانفعال . الخلق . التأثير ..

ها هي (جويرنيكا) ، صليبية أندلسية .. قرية في جحيم اسبانيا .. ثوار .. الفاشيست .. ورعب مدمر يجتاح هذا الحائط الملون من أقصاه .. وحركة ونشيج .. ودم .. دم في كل مكان .. حلق الثور والباب المصروع .. حتى الأكف الهستيرية المزروعة في اخضرار الأرضية .. ولكنه ولا رصاصة .. ولا قنبلة .. ولا قتيل !! فحتى التشكيل الهرمي للأبعاد ، يمكن أن يوصل الى التأثير .. حتى الفن الذي يعتمد شكلية تخطيطية يمكن أن يشير ..

« قرأت العدد الماضي »

نعتذر عن عدم تمكننا من نشر مواد باب «قرأت العدد الماضي من الآداب » لتأخرها في الوصول ، ونرجوان ننشرها في العدد القادم ، ولو جاءت متأخرة ، حتى لا نفوّت على القارىء فرصة نقد عدد المسرح الممتاز .

« الآداب »

ما دام صادقاً وامينا . . ! فاذا ما هزتنا (جويرنيكا) بدفاعها عن الحرية ، فقد ظفرت كلوحة ، وقيمت كحادثة فذة في تاريخ القماش الملون .. وتصبح ألف ألف (جويرنيكا) مرسومة على الغرار نفسه ، مشاكل بدون دم .. وبدون معنى ..

إنهم يقفون – طلبة المدارس الفنية في فرنسا والفنيون المحترفون – يقفون ازاء (جويرنيكا) ويرسمونها ثانية .. يعبدون خلق المأساة مرة أخرى .. ولكن .. حذار .!! فثمة ليل ما قد انقضى .. ، وقد أضيىء هذا الليل مرة ، ولن يضيىء الى الأبد .!. ولذلك فكل هذه الآثار لا توصل ، برغم أن الثور هو هو هنا وهناك ، وأن الرأس المجندل هنا هو هو هناك .!! لأنها ما صدرت عن قلب يتمزق .. لأنها لم تنفجر بكل الغل والحقد والأسى والنشيج والرعب الذي أمسك بالفنان ، فدفعه الى أن يرسم .. أن يكتل المذبحة في أنين أنبوبة الوان .. في حائط ..

إن الفنان الزائف يبدأ من مشاعر زائفة ، ولذلك أيضاً نجحت قصة مطاع صفدي (القاص الذي يعجبني) « المزيفون والثورة العظيمة » لأنها من قلبه ، لأنها من دمه .. لأنها من داخل كيانه الذي انفعل بهذه القضية الكبيرة .. ولذلك أيضاً نكتشف في نفس هذا العدد من الآداب (الثاني عشر) قصيدة فاشلة للشاعر السوري (نزار قباني) ، ويمكننا ، ببساطة فائقة ، أن نستدل بزيفها حين نطالعها للمرة الأولى .! حسناً !! لاقواعد هناك .. إذ الأمر يرتد الى حساسية ما .. الى حدس بأن الأمر هكذا مغلوط بالمرة .! إلى أنه كان يصبح أشد توصيلا إذا ما كانت اكثر حرارة ، أو أفعم دينامية .. أو ..! وعلى هذا فالعمل الكامل يردنا الى ملاحظة جد عامة : لا يمكن لفنان آخر أن يزيد فوق هذا البناء قطعة أخرى ..! ولذلك فان (جويرنيكا) كاملة ..! نعم .. على شفا الانحدار .. ولكنها جد كاملة .. وكذلك فهي كاملة معظم روائع (نزار) الأخرى .. كاملة .. غير أنها تصبح شائنة وسخيفة ، حين يلتوي القلم ليكتب رسالة جندي مصري .. لأنها من أعماق ضحلة .. لأنها معاشة من الذاكرة .. وربما من الصحف .!! فاذا كان الانفعال مرحلة أولى لهذه السلسلة الكبيرة التي تنتهي بالتأثير ، فهمنا كيف أن التأثير يصبح مرتبطاً غاية الارتباط بالانفعال ذاته .. ويصبح المزيفون الحقيقيون ، لا اولئك (الذين يعبرون عن تجربة لم يحيوها لا في الواقع ولا في الخيال ..) بل الذين يقف انتاجهم الفني دون التوصيل .. أقل حرارة من أن يحرق ، وأقل نضجاً من أن يدرك ، ولذلك ففنهم ذليل . عنكبوتي .. واقف هناك ، على بعد أمتار من الحقيقة ، أجبن من أن يصل اليها . وأبرد من أن يشعلها ..

الفنان الحقيقي يقفز الينا بكل ذاته ، بكل نوره ، بكل صخبه .. مستعملا كلماته ، وتعابيره ، ألوانه وأنغامه .. في حاضرنا .. أنه يجهد في أن يدلنا .. أن يجعلنا نرى اسطورته ، نعيش مأساته ، نعي قلقه ، نحارب مذلته ، ولذلك يعيش هذا الفنان فينا الى الأبد .. لأنه التزام ووعي .. لأنه صدق ومسئولية .. لأنه شعلة .. لأنه حياة ..!

ان الفن ليس متعة ، ولذلك فلا مهادنة في تأثيره ولا في أصواله .. انه باستمرار .. بحث عن الحرية .. وعن حقيقة العالم .. كشف عن المجهول ، ودفعة بالانسان أجل ذلك كان الفنان أحد بصراً من السوقي – بائع الدجاج أو العامل – ومن أجل ذلك أيضاً يكافح الفنان بدون هوادة حكومة مجرمة تصادر الفكر وتشنق الطلبة ، والسياسيين ، وتحرق الشعر واللوحات .. لأنه أضخم كثيراً من وعي عادي ، لأنه أشد التهاباً من مجرد فطنة أو ذكاء .. أو معلومات .. لأنه زاد يحترق .. لأنه معنى .. لأنه نبي !!

فاذا كان الفن عند الأديب جبور على الأقل ، هو ذلك المعنى المتضائل ، المتهافت ، الخاشع ، الحلو .. أمكننا أن نتصور مهزلة الفنان الذي سيكون مسئولا عن كل هذا العصر .. عن هذا العصر بأكمله .. عن شرقنا ، عن جزائرنا ، ومصرنا .. مسئولا عن أنابيب البترول ، وعن كروم يافا .. وبقاء هذه الملة الدون في فلسطين .. أرضنا ..! ذلك الفنان الذي يريده الأديب جبور كما هو .. ما دام صادقاً مع نفسه .. كما هو .. اي ثائراً ومصلحاً في (ربع ساعة ..) ثم مستمراً في حياته العادية المجرمة –٢٣ ساعة .. ما دام صادقاً مع نفسه .. ! الفن رابطة ينسل بينها تركيب من المعاناة ، الوضع ، التوصيل ، ولذلك يفضي شق في احداها الى الهيكلين الآخرين ، ولذلك يمكننا ان نستدرك بواحد منها عن زيف العملية برمتها .! والفن الزائف لا يوصل أبداً ، وهو لذلك جامد وبدون معنى ، وان كان يملك شكلا .! .. بارد ، وان كان مرسوماً باللون الأحمر ..!

الفن الزائف تمثال منحوت الى الداخل ، في قلب الصوان ، مغلوق على ذاته .. صفيق .. وبدون دم ..

في معارض التصوير ، تمر العين على مئات اللوحات ، ثم تبصقها في لحظة ، لأنها ركام الوان .. لأنها لا تشي بالسر المقدس الذي أقسمت عليه – ربما – عين الرائي وفرشاة الرسام .. الغسالة . أم أحمد . بواب الكلية . جسم عاري . بائع الفجل .!! وفجأة تبرز هي من الظلمات .. من كون كان الى لحظة عدماً .. تبرز هي بكل ثقلها وألوانها وصرامتها .. بكل ذلها ، بكل أنينها .. لوحة ما .. لوحة ما مجهولة ، ولكنها في دمك ، رجفة في أعصابك ، لأنها ألمك .. لأنها حياتك ..! لانها أنت .. لأنها الفن الحقيقي ، لأنها من نفس ألم ذلك الفنان الذي رسمها وهو يفكر فيك .. فيك أنت من بين ملايين السحنات التي تمر من تحت نافذته ..

وقد اكتشفك في مساء ناعم .. لأنه كان يصبح مؤنساً للغاية أن يفتقدك إلى الأبد ..!

القاهرة

محيي الدين محمد

زميلتان جديدتان

صدرت في الشهر الماضي مجلة « شعر » في بيروت حافلة بالقصائد والدراسات الموضوعة والمترجمة لكبار شعراء العربية والغرب ، فسدت نقصاً ملحوظاً في النشاط الشعري بالعالم العربي . فنهنيء الشعر بمجلته الراقية .

وصدرت في القاهرة «المجلة» حافلة بالدراسات العميقة والمقالات المركزة. ويرأس تحريرها الدكتور محمد عوض محمد . فنرحب بالزميلة الجديدة